ثورة العشرين في كتابات عبد الله العتابي

الكلمات المفتاحية: عبد الله العتابي، ثورة العشرين، تاريخ العراق.

أ.د. محمد يحيى احمد الجوعاني
جامعة الانبار/ كلية الآداب
art.dr.mohammed.y57@uoanbar.edu.iq
أ.م.د. معاذ هلال جاسم
جامعة الانبار / رئاسة الجامعة
muath.alheti@uoanbar.edu.iq

الملخص

يعد الدكتور عبد الله حميد العتابي احد ابرز المؤرخين الذين شهدتهم الساحة العلمية العراقية، وبالرغم من نتاجاته العلمية العديدة في كثير من الاختصاصات التاريخية الا نجمه بزغ في تاريخ العراق المعاصر، ولاسيما ثورة العشرين التي تناولها في ابحاثه بموضوعية كبيرة، جعلت منه مرجعاً تاريخياً لاحداثها، اذ تناولها باكثر من اربعة بحوث فضلاً عن المشاركات في المؤتمرات والندوات بطرح جديد اختلف عن ما طرح سابقاً في عرض احداث الثورة.

ثورة العشرين في كتابات عبد الله العتابي

اعتقد العتابي ان ثورة العشرين من ابرز الاحداث في تاريخ العراق المعاصر، ويجزم أن احداثها تؤلف مرحلة قائمة بذاتها الى حد كبير، كما انها تمثل انطلاقة لمرحلة جديدة، لاسيما ان نتائج احداثها اثرت بشكل واضح في الحياة الفكرية والسياسية، وهي في الوقت نفسه منعطف تاريخي وسياسي واجتماعي بالنسبة للشعب العراقي، وبداية التأسيس للدولة العراقية المعاصرة، وعدها اهم حدث تاريخي منذ سقوط بغداد على يد المغول في عام ١٢٥٨م، وما تبعه من موجات غزو واحتلال متلاحقة امتدت عبر قرون طويلة، وبرز هذه الاهمية لثورة العشرين بكونها تنبع من الظروف التي احاطت بالثورة ورافقت اندلاعها ومن النتائج التي انعكست على مستقبل العراق دولة وشعباً، وفي ضوء ذلك، حظيت الثورة باهتمام واسع من لدن الباحثين في العراق وخارجه[١].

يتسائل العتابي هل ما جرى في عام ١٩٢٠ ثورة ام انتفاضة ام حركة مسلحة؟ للاجابة عن تلك التساؤلات عرف العتابي الثورة بانها تغيير جذري في نظام الحكم السياسي يتبعه تغيير اجتماعي واقتصادي وثقافي، في حين يرى كارل ماركس (Karl Marx)[٢] ان الثورة مرحلة من مراحل التاريخ، وان حتمية الحركة الثورية تكمن في عدم ملائمة النظام القديم وضورة استبداله بنظام جديد يعبر عن مطامح الشعب[٣]، وبتقدير العتابي ان هناك ثلاثة شروط ينبغي توافرها قبل ان نطلق على الحدث التاريخي ثورة هي:

١- الواقع الفاسد.

٢- ادارة التغيير.

٣- البديل المناسب.

وحين نطبق ما جرى في عام ١٩٢٠ يمكن القول بأن الحدث بدأ حركة عسكرية ثم تحول الى ثورة شعبية حقيقية ضد الاحتلال البريطاني، نتج عنها تاسيس اول حكومة وطنية بعد قرون من الاحتلال العثماني[٤].

تصدت دراسات علمية كثيرة لمؤرخين عراقيين وعرب واجانب لجوانب متعددة من الثورة، واشترك هؤلاء في وصف الحدث والوقائع التي حصلت في العراق في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، الا انهم اختلفوا في الرؤى وتحديد المعالجات التاريخية والمنهج المتبع، فلكل واحد منهم له موارده المعرفية وفرضيته المحدودة وسبله في الوصول الى اهدافه.

اختلف المؤرخون العراقيون والاجانب في تحديد هوية الثورة، فعدها الكثير (مناطقية)[٥] واقر البعض انها (اسلامية)[٦]، واكد اخرون على انها ثورة (طبقية)[٧] و(فئوية)[٨]، في الوقت الذي اعتقد البعض ان هذا الحدث لا يتعدى كونه تمرداً عشائرياً ضد الوجود البريطاني[٩]، في حين رأى اخرون ان الثورة (شخصائية)[١٠]، وجزم البعض انها (وطنية)[١١] واخر (قومية)[١٢].

خالف كل تلك الاراء مؤرخ عراقي اخفى اسمه تحت عنوان (فراتي) وحدد هويات الثورة بالقول: "للثورة العراقية عناصر تاريخية وقومية ووطنية، فلم تدبر بليل، ولم تفاجئ العالم على حين غرة، وانها لم تخنق في مهدها، بل تلتها نتائج خطيرة، واعقبتها حوادث كبرى خرجت عن نطاق الضيق الى مؤتمرات دولية... لم تحتضنها مدينة واحدة من المدن العراقية، ولا قبيلة واحدة في اريافه، بل اسهمت فيها سائر مدن العراق واريافه كل حسب امكانياتها وظروفها"[١٣].

ويتفق العتابي مع ما قاله مترجم عراقي: "ان الدلائل تشير الى ان الثورة كانت ثورة عقائدية حية، ومبادئ وطنية اعتنقها العراقيون على اختلاف طبقاتهم، فثاروا من اجلها، وتناسوا الفروق والاختلافات الطائفية، فوقفوا صفاً واحداً تجاه العدول المحتل، ونجح مسعاهم، فكانت الغلبة لهم في اخر الامر، كما كانت ثورة شعبية جماهيرية اشترك فيها الفلاحون في الريف، والعامة في المدن، فكانوا مادتها ووقود نيرانها المشتعلة، واسهم فيها الوجهاء والشيوخ ورجال الدين والمثقفون فاصابهم من عنت السلطة المحتلة وتدابيرها الزجرية... وقد نشبت في وقت كانت تحصل فيها تحولات خطيرة في حياة الناس ومصائر الشعوب، وكانت وسيلة فعالة في ادخال قيم جديدة ومفاهيم عصرية جديدة في حياة العراقيين وتطلعاتهم في المستقبل المشرق، بعد ان خرج العراق من حياة القرن التاسع عشر المنطبعة بطباع المفاهيم الاقطاعية واحوالها"[١٤].

لذا اعتقد العتابي ان ثورة العشرين كان لها دوراً في صيرورة الهوية الوطنية العراقية، فقد كانت ثورة العشرين في منظور العتابي بما سبقها وما تلاها من احداث، المحور الرئيسي الذي ساهم في انطلاقة عملية بناء الهوية الوطنية، اذ بدأ تقارب المكونات بعضها مع بعض من تلك اللحظة فتشكلت الثورة بوجه النظام القائم، الاساس المشترك الذي لم يعد يختلف عليه احد، كان التقرب الشيعي السني في امر سياسي كالثورة امراً مثيراً للاستغراب، وكان موقف الشيخ ضاري[١٥] في مواجهة الضابط البريطاني لجمان (Leachman)[١٦] مشهوداً في دفاعه عن الاخوة الشيعية–السنية، حينما اراد البريطانيون العزف على الوتر الطائفي لتفريق الثوار، حمل التحضير للثورة بصمات التعاون بين الشيعة والسنة، وكانت الاجتماعات تعقد في الجوامع والحسينيات بالتناوب لتداول مستقبل البلاد[١٧].

واستنتج العتابي: "ان ثورة العشرين في واقع الامر مناسبة لاعادة رسم العلاقة بين الهويات الفرعية، لاسيما السنية–الشيعية، وتكريس الهوية الوطنية على حساب التعصب الطائفي، ولا نغالي انها رسخت الفكرة الوطنية العراقية حتى قبل تاسيس الدولة العراقية المعاصرة، وان منحها تلك الاهمية يمكن تفسيرها بالاساس الى عدم وجود سوابق مماثلة، اذ كانت الثورة اول حدث في تاريخ العراق اشترك فيه العراقيون بجميع فئاتهم وطبقاتهم، اذ شاركت فيها جميع المكونات الطائفية والعرقية، بما فيه الكردية والتركمانية، فضلاً عن المستويات الطبقية، وسكان المدن والارياف، وكان كل ذلك جديداً وغير مسبوق في مواجهة عدو مشترك هو

الاحتلال البريطاني، كما ان هذا النمط من التوافق الشعبي العابر للهويات الفرعية، لم يتكرر بعد ذلك بنفس النمط البعيد عن تدخل الدولة الوطنية، التي لم تكن موجودة اصلاً، وقد يكون ذلك التفرد هو ما يعطي ثورة العشرين اهميتها الخاصة في تاريخ العراق"، ويخلص العتابي الى ان ثورة العشرين قد نجم عنها امران اساسيان، وفي منتهى الاهمية، انبعاث الروح الوطنية والتقارب المذهبي، وبذلك توافرت للشعب العراقي فرصة ذهبية وللمرة الاولى في التاريخ لنشوء الولاء الوطني وبمعنى ادق الهوية الوطنية، ومنحه الاولوية على الولاءات الثانوية، اي الهويات الدينية والطائفية والعسكرية، وان ثورة العشرين قد كرست هوية وطنية بروح جديدة في لحظة تاريخية شديدة الاهمية(١٨).

وفي كتابه الخطاب الحوزوي في ثورة العشرين:

اعتقد العتابي ان الخطاب الحوزوي قبيل ثورة العشرين، وخلالها اتسم بمكانة خاصة وموقعية خطيرة في التاثير عبر هندسة الوعي الجمعي، وصوغ توجه السلوك العام لما مثله هذا الخطاب في نظر الامة العراقية ومن المرجعية الدينية واحكامها، فالخطاب الحوزوي هو الناطق الرسمي عن المرجعية، والمفصح عن مكنوناتها، ولغته المعبرة عن واقعها، وواقع من تمثلها والواجهة الاعلامية لها.

افترض العتابي ان الخطاب الحوزوي كان فاعلاً قوياً الى جانب فواعل اخرى في تشكيل ملامح الثورة العراقية الكبرى، بما قدمه من طروحات فكرية، وما اثاره من قضايا ملتصقة بتطلعات العراقيين لتاسيس دولتهم بعد قرون من احتلال عثماني متخلف(١٩).

ومن المهم الاشارة الى ما اورد العتابي بالقول: "لقد عرفت الحوزة نفسها بوصفها حوزة عراقية، ولم تجعل الهوية الشيعية تنويعاً على الهوية العراقية، وعلى الرغم من تعريف البعض للهوية الشيعية بوصفها عابرة للحدود، اوسع واكبر من الهوية العراقية، الا ان تسمية الشيعة، الذي استخدم بكثرة في الوثائق البريطانية في تلك المرحلة لم يكن يشير الى جماعة دينية مغلقة، ولا الى جماعة تشبه الطوائف او الاقليات الدينية، ولكن الى جماعة ديموغرافية كبيرة يرى اعضاؤها الشيع تنويعاً او جزءاً من نسيج هوياتهم، فشيعة العراق يعرفون انفسهم بانهم مسلمون وانهم عرباً"(٢٠).

يبرر العتابي في بحثه الموسوم (دور ثورة العشرين في بناء الدولة العراقية الحديثة) بأن ثورة العشرين نقطة تحول حاسمة في تاريخ العراق، ويكمن الحسم في قضاء رجال الدين وشيوخ

العشائر وافندية بغداد وفلاحي الفرات الاوسط على مشروع تهنيد العراق وتحويله الى مستعمرة تابعة لحكومة الهند البريطانية، فضلاً عن ذلك فان هذه الثورة المباركة عبدت الطريق لبناء الدولة العراقية المعاصرة، اذ ان خسائر بريطانيا الجسيمة دفعت ونستون تشرشل الى عقد مؤتمر القاهرة وتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق"[٢١].

واشاد العتابي بشجاعة عشائر السماوة ولاسيما بني حجيم الذين انهوا الثورة على وفق شروطهم في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠[٢٢].

وتوقف العتابي عند دور البغداديين في ثورة العشرين اذ تناول البحث دور الحركة الوطنية في بغداد في ثورة العشرين والاعداد لها واثرها في حراك عشائر الفرات الاوسط، وعلاقتها بالمرجعية الدينية في كربلاء وريادتها في تقديم مطالب الحركة الوطنية في العراق، اعتمد البحث على مصادر وثائقية اصيلة عاش بعض كتابها الاحداث، بل وساهموا فيها، وخرج باستنتاجات مهمة ابرزها تمكن البغداديون من ترسيخ الروح الاستقلالية لدى ابناء مدن العراق، والتزام البغداديين بالحقوق السياسية والمدنية للمواطن العراقي والسعي الى تحقيقها[٢٣].

وتبين المعطيات الواردة في هذه الدراسة ان للبغداديين دور بارزاً في نهوض الحركة الوطنية في العراق، ولاسيما انهم ادركوا مختلف الجوانب المتعلقة بطبيعة الاحتلال البريطاني.

لقد نشط البغداديون في اماطة اللثام عن حقيقة الاحتلال البريطاني وفي فضح السياستين الادارية والمالية التي وقعت عبئاً ثقيلاً على كاهل الشعب العراقي، وتمكن البغداديون من اذكاء روح العداء لقوات الاحتلال، وعمل البغداديون بشكل كبير من اجل ارساء قاعدة تحالف جماهيري واسعة شمل العراق كله تحت شعارات قوية واضحة اصبحت الاساس المتين لانطلاق الثورة.

نجح البغداديون في تعبئة الجماهير في اقامة المواليد وتوظيفها في القاء الخطب الثورية، لاستنهاض الهمم لدى جماهير الشعب.

تمكن البغداديون من ترسيخ الروح استقلالية لدى ابناء مدن العراق وتعميق الهوة بين مطالب الحركة الوطنية واهداف الاحتلال البريطاني، انعكست بشكل واضح على المرحلة التي اعقبت الثورة.

التزم البغداديون بالحقوق السياسية والمدنية للمواطنين، وسعوا الى تحقيقها، فكان التزامهم بحرية الراي والصحافة والنشر وتاليف الاحزاب والجمعيات ضمن الاهداف التي كانت محاط

انظارهم وبقي ان اقول، لا يمكن اغفال موقع البغداديين في حراك الثورة، والمشاركة في قيادتها في اشهر الثورة[٢٤].

وفي بحثه الموسوم (الحركة الوطنية في كربلاء واثرها في ثورة العشرين) حاول العتابي من خلال التوقف عند الدور الريادي الاول لمدينة كربلاء في تاجيج الحركة الوطنية العراقية خلال الاعوام ١٩١٨-١٩٢٠، وان حراكها الوطني قاد الى ثورة العشرين ومن ثم بناء الدولة العراقية المعاصرة، ومن خلال المعطيات الواردة في هذه الدراسة، حاول العتابي بيان دور الحركة الوطنية في كربلاء بزعامة المرجعية الدينية، بأن لها بالغ الاثر في نهوض الوعي الوطني والحركة الاستقلالية، ولاسيما ان حوزة كربلاء كانت المظلة الشرعية التي استند عليها الحراك الجماهيري وقتذاك وقامت بدور اساسي متصل بحركة الشعب العراقي، اذ نشطت حوزة كربلاء في اماطة اللثام عن حقيقة الاستعمار البريطاني، وفي فضح السياسة الادارية والملاية التي وقعت عبئاً ثقيلاً على كاهل الشعب العراقي، وتمكن وجهاء كربلاء من اذكاء روح العداء للاحتلال، واستعرض العتابي عمل اهالي كربلاء من اجل ارساء قاعدة تحالف جماهيري واسع، شمل العراق كله تحت شعارات قوية اصبحت الاساس المتين لانطلاق الثورة، اذ تمكنت الحركة الوطنية في كربلاء -بمنظور العتابي- من ترسيخ الروح التحررية لدى الاهالي وتوسيع الهوة بين المطالب الوطنية، واهداف الاستعمار البريطاني انعكست بشكل واضح على المرحلة التي اعقبت الثورة، التزمت حكومة الثورة التي كان مقرها كربلاء بالحقوق السياسية والدينية للمواطنين وسعوا الى تحقيقها فكان التزامهم كحرية الصحافة والرأي والنشر وتاليف الاحزاب والجمعيات ضمن الاهداف التي كانت محط انظارهم[٢٥].

حاول العتابي في بحثه الموسوم (دبلوماسية المرجعية الدينية في ثورة العشرين) وابرز الفكر الدبلوماسي لدى زعماء الحوزة، اذ كتب: "شكلت عالمية الرسالة التي تحملها المرجعية الدينية مقصداً من مقاصدها في سياستها الخارجية، ولأن مفهوم الدبلوماسية يطلق على السلوك الذي يتم اتخاذه من جانب بعض الافراد بغية احداث بعض التغييرات على السياسات التي تتخذها بعض الحكومات، فاستلزم ذلك اقرار المرجعية بدبلوماسية الابواب المفتوحة في محيط علاقتها مع غيرها ورفض سياسة العزلة والانغلاق"[٢٦].

وفي بحثه الموسوم (المرجعية الدينية ودورها التاسيسي للعراق المعاصر) اعتقد العتابي ان العام ١٩٢٠ علامة فارقة في دور المرجعية الدينية في العراق على مدار تاريخها، اذ

اضطعلت بادوار سياسية وحربية واعلامية وتاثير صادم لاحياء دولة عريقة حكمت العالم واندثرت تحت سلسلة من الاحتلالات الاجنبية المقيتة، امتدت منذ سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م حتى ٢١ اب ١٩٢١، ولم تكتف المرجعية في جهادها المرير ضد بريطانيا بالمطالبة باستقلال العراق، بل فرضت ارادتها لمحاولة تاصيل نظام سياسي على وفق طروحاتها، اذ يرى العتابي بأن للمرجعية الدينية دوراً حاسماً في التاسيس للدولة العراقية المعاصرة، لانها كنت صوت الشعب الهادر بالاستقلال، وكان طلب المرجعية الاساس الاستقلال والدستور ومجلس تشريعي وملك مقيد بدستور مطلباً حوزوياً استراتيجياً، حفز ابناء الشعب العراقي للثورة ضد بريطانيا في عام ١٩٢٠، ورأت الحوزة في مؤتمر الصلح في باريس انسب الطرق للدعوة لاستقلال العراق، واوكلت الى فيصل بن الحسين مندوب مملكة الحجاز، للجهر بمطالب العراقيين، ليس هذا فحسب بل راسل المراجع الزعامات العربية والدولية لعرض القضية العراقية، ووظفت طروحات الرئيس الامريكي ودرو ولسن (Woodrow Wilson)[٢٧] في مؤتمر الصلح في باريس للتاكيد على حق العراقيين في تقرير مصيرهم، وهي احدى بنود الرئيس ولسن الى الايفاء بوعوده والضغط على بريطانيا لتاسيس العراق المعاصر، وجلب انتباه العتابي رسالتي المراجع الى الرئيس ولسن، حاكت تلك الرسالتان الرئيس الامريكي بمنطقه الليبرالي، وهو المنطق الذي اختتمت به الرسالتين الى الرئيس الامريكي من ان حق تقرير المصير، الذي جاءت به مبادئ الرئيس ولسن من شأنها ان تقيم في العراق نظاماً عصرياً، وعلى المستوى الدولي تم التاكيد في الرسالتين على هوية الدولة المراد اقامتها: "عربية ديمقراطية دستورية مستقلة"[٢٨].

واستنتج العتابي ان المرجعية الدينية لها فضل السبق في ارساء دعائم اصول الدبلوماسية، اذ اقام الشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني ومحمد رضا محمد تقي الشيرازي اسس تلك الدبلوماسية وجعلها نموذجاً في القدوة من خلال المذكرات الرسمية ذات الطبيعة الدبلوماسية التي استعرضت مآسي العراقيين وفضح الممارسات القمعية لقوات الاحتلال البريطاني، وتطلع العراقيون الى الحرية والاستقلال وحقوق الانسان واحترام الاقليات، والمطالبة بالحقوق الاساسية والحريات الرئيسة والتي تعد متأصلة لدى كافة البشر وهي غير قابلة للتصرف وتنطبق على الجميع في اطار من المساواة والكرامة والسلامة، وان كل امة هي حرة ومتساوية من حيث الكرامة والحقوق الامر الذي اقر به العالم في منتصف القرن العشرين[٢٩].

ويرى العتابي ان المرجعية الدينية اصلت لكثير من الجوانب الاساسية في مفهومنا المعاصر، ومنها السياسة الخارجية، ولأن الدبلوماسية هي العملية السياسية التي تتحقق بها علاقات الدولة ومصالحها، فانها تصبح على علاقة وطيدة مع السياسة الخارجية، بل وتشكل جزءاً اساسياً منها، فيقدر ما تعدد الدبلوماسية اداة تنفيذ للسياسة الخارجية بقدر ما تعتبر الدبلوماسية اداة تحضير واعداد في الوقت نفسه، والحق فقد اقامت المرجعية الدينية نظاماً سياسياً خارجياً تمثل في المذكرات الدبلوماسية في وسط محيط مملوء بالصراعات والتناقضات يومذاك، ولاسيما امام اعتى قوة في ذلك الوقت بريطانيا العثمانية، والامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، فكانت المذكرات الدبلوماسية مع الحاكم المدني في العراق والملوك والرؤساء العرب والمسلمين وزعماء العالم، المفصح الحقيقي عن مكنونات العراقيين، ولغتهم المعبرة عن واقعهم وواقع من تمثلهم والناطق الرسمي عنهم(٣٠).

حاول العتابي دحض الاعتقاد السائد لدى البعض بأن عمل المرجعية يقتصر على الجانب الديني والاجتماعي فقط، وان لا شأن لها بالسياسة الخارجية ولا تجيد الدبلوماسية، ورأى العتابي ان هذا الطرح المغلوط فيه تجنياً على دور المرجعية التاريخي، لذا كان من المهم التعريف بهذا الجانب وابرازه، واثبات حقيقة بالادلة الوثائقية على ان المرجعية مارست دبلوماسية السلام من اجل تحقيق طموحات الشعب العراقي(٣١).

واستنتج العتابي موافقة المرجعية الدينية على المواثيق والقوانين الدولية ذات النشأة الغربية مثل حق تقرير المصير وانتخاب برلمان، فضلاً عن تاصيل المرجعية الدينية قواعد القانون الدولي العام، حين عدت وعود الدول الكبرى –بريطانيا وفرنسا– بمثابة مواثيق دولية قابلة للتطبيق، ووضعت قاعدة عدم مخالفة الوعود(٣٢).

وفي بحثه الموسوم (اثر ثورة ١٩١٩ على ثورة العشرين بالعراق) الذي شارك فيه العتابي في المؤتمر الدولي ثورة ١٩١٩ بعد مائة عام والذي عقد في القاهرة في ١٨ مارس/ اذار ٢٠١٩، ركز باحثنا على العلاقات التاريخية الموغلة في القدم بين حضارة وادي الرافدين والحضارة الفرعونية، اذ ظهرت صلابة العلاقة في التاثيرات المتبادلة بين الحضارتين وصور التفاعل المختلفة، فحضارة وادي الرافدين قد اخذت عن مصر نظام الهرم المدرج في بناء معابدها واخذت حضارة وادي النيل استخدام الاختام، وفن رسم الحيوانات المجنحة، وقد استولى الاشوريون على مصر(٣٣).

وكان للحركة النهضوية الفكرية والثقافية التي حدثت في مصر اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين تاثيرات على مثقفي العراق، تجلت بقنوات اهمها الصحافة والمطبوعات والمراسلات والرحلات، وكانت المطبوعات المصرية رافداً امد الحركة الفكرية في العراق بمعين لا ينضب من المعلومات في شتى الصعد، فاصبحت مصر في منظور المثقفين العراقيين الواحة الفكرية ودار التعريب بين اوربا والبلاد العربية(٣٤).

ويبدو ان ما نشرته جريدة (العقاب) السورية عن اخبار الثورة المصرية ودور سعد زغلول في تلك الثورة كان له صدى واسعاً في اوساط الزعامات العشائرية العراقية، فهذه الجريدة التي تصل سراً الى النجف بعد ان منعت السلطات البريطانية وصول اخبار الثورة المصرية الى العراق، هذه الجريدة تقرأ على مسامع العراقيين في الدواوين والملتقيات العشائرية، الامر الذي اجج روح الثورة لدى العراقيين، وهم يقرأون بطولات الثورة المصرية في مقارعة الاحتلال البريطاني، واستشهد العتابي بما اوردع محمد مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية) لاسيما اذا ما عرفنا ان البصير هو (مؤرخ ثورة العشرين وخطيبها والعامل فيها سراً وجهراً) (٣٥).

وشارك العتابي في مؤتمر العتبة الكاظمية المقدسة العلمي السنوي التاسع، الذي عقد في ١٠ تشرين الاول ٢٠٢٠ بمناسبة مرور مائة عام على ثورة العشرين تحت عنوان (المرجعية الدينية تعداد ادوار ووحدة هدف) وقدم العتابي في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر خطبة الشيخ محمد الخالصي في كربلاء واثرها الحماسي، بعد ان حلل العتابي ذلك الخطاب وفككه الى خطاب وعظي وخطاب حماسي وخطاب تفنيدي وخطاب عرض القضية العراقية امام المحافل الدولية(٣٦).

ولفت انتباهنا ونحن نسير اغوار ما كتبه العتابي عن ثورة العشرين، مقالة عن (دور المرأة المشهود في ثورة العشرين)، اذ حاول ابراز دور المرأة في ثورة العشرين، وحملها للسلاح والقتال اسوة بالرجال وتميزت الكثيرات منهن في تلك المعارك، اذ كانت تسعف الجرحى وتهيأ الماء والطعام، وكان لصبر المرأة العراقية واندفاعها الدور الفاعل والمؤتمر في احداث الثورة ومساراتها، اذ كانت تواجه الموقف بما يستحقه من البسالة والاقدام(٣٧)، واشار العتابي ان للمرأة العراقية دورها الطليعي في المجتمع العراقي، بالرغم من التهميش التي تفرضها التقاليد الاجتماعية لوجود المرأة كانسان له دور فاعل في الحياة السياسية والاجتماعية على حد سواء،

اذ ساهمت في رفع معنويات الثوار عن طريق الهوسات، والهوسات التي اطلقتها المرأة العراقية في ثورة العشرين كان لها المردود الايجابي في شحذ الهمم والهجوم على الغزاة[٣٨]، ويضرب المقال امثلة وقصص رائعة واهازيج واشعار عن سيدات عراقيات ساهمن في التحريض والتسجيل في الدفاع الروحية نفسها مع اخيها المقاتل وبقيت ترافقه في سوح القتال وهي تشد من عزيمته وهمته ورفع معنوياته، وتحقيق الانتصار من خلال اشعارهن واهازيجهن في ثورة العشرين الوطنية وهن يعبرن عن موقف مميز وبلسان صادق، ويخلص المقال الى التاكيد على حقيقة المراة العراقية في ثورة العشرين وقفت الى جانب الثوار تحمل السلاح وتضمد الجراح وتهزج وتقاتل، نعم انهن قاتلن بالشعر والكلام والاهزوجة[٣٩].

وخلال مشاركته في الندوة العلمية التي اقامتها كلية التربية للعلوم الانسانية– جامعة الانبار تحت عنوان (دور عشائر الدليم في ثورة العشرين) في ٢٥ مايس ٢٠٢١ ساهم العتابي في بحث حمل عنوان (دور عشائر الدليم في ثورة العشرين) ركز العتابي من خلال ذلك البحث على الدور الوطني لعشائر الانبار، في المشاركة الفعالة في تلك الثورة، وان تخلف احد الزعامات العشائرية هناك لا يعني ان باقي الزعامات لم تشترك، وطرح وجهة نظر مفادها ان مدن العراق ومرجعياته الدينية بكل طوائفها وطبقات المجتمع العراقي من زعامات عشائرية او طبقة فلاحية او فئة مثقفة ساهمت في انطلاق الثورة، وان تجيير الثورة لطرف على حساب اطراف اخرى افتراء لا يمكن مسامحته للبحث عن الحقيقة التاريخية التي لا يمكن حجبها بغربال[٤٠].

ان تعدد التفسيرات تعكس اهمية ثورة العشرين في المخيال العراقي ليس لانها شكلت الدولة العراقية المعاصرة او عكست درجة من وحدة الصف العراقي فحسب، بل لانها تمثل جزءاً مهماً من الذاكرة التاريخية للعراقيين يعتزون بها حتى اليوم، فهل استشعرت النخب الفكرية العراقية نتائج تلك الثورة لبناء هوية وطنية جامعة متماسكة خلال العقود الماضية؟ الاجابة للاسف كلا، ويمكن تبرير ذلك لعوامل داخلية وخارجية، فعلى الرغم من اضعاف الثورة، الا انها اقنعت المحتلين بعجزهم عن حكم العراق حكماً مباشراً، لذلك انتجت نظاماً سياسياً يدار بواجهة عراقية محلية ونظام برلماني، الا انه من الناحية العملية كان تحت سلطة الاحتلال، الا انها من جانب اخر، انتجت حركة وطنية تملك وعياً شاملاً لمصالح البلاد ومعارضتها لسياسته الجائرة حتى اندلاع ثورة عام ١٩٥٨، وعلى الرغم من الانجازات المعروفة لثورة تموز

الا انها اسست لحكم العسكرتاريا في العراق لعقود لاحقة، وعسكرة المجتمع العراقي التي بلغت ذروتها في مدة حكم البعث وحتى الوقت الحاضر، وفي مثل تلك الظروف من الصراع العسكري لا يلتفت احداً الى ثورة العشرين او اية ثورة اخرى الا اذا انسجمت مع توجهاته الفكرية[٤١]، واستناداً الى ذلك اهمل البعث الاهتمام بتاريخ العراق المعاصر لحساب (التاريخ القومي للامة العربية الواحدة) و (دور القائد الاوحد) اي البطل في التاريخ في صدورة ذلك التاريخ، اما في فترة البعث (١٩٦٨-٢٠٠٣) فهو لم يرى في ثورة العشرين، واية ثورة عراقية اخرى، الا حركة من حركات التحرر (القومي) وان خصوصيتها الوطنية يجب ان تكون جزء من (النضال القومي) نحو تحقيق (الوحدة العربية)، وطالما ان الاحداث التاريخية البارزة من تاريخ العراق المعاصر، ومن بينها ثورة العشرين بالطبع، لا تنسجم كثيراً مع رؤية حزب البعث لدور التاريخ والتراث في بناء (الامة) فلا حاجة للحديث عنها[٤٢].

ولنا ان نتسائل هل وظفت النخب العراقية المثقفة على مدار القرن الماضي ما رفعته ثورة العشرين من افكار مبادئ لفهم واقع العراق المعاصر، ولاسيما تحديد مفهوم (الوطن) وشكل (الهوية الوطنية) وطبية (المواطنة) في ضوء الاوضاع السياسية لبلادنا ما بعد عام ٢٠٠٣، فتلك المفاهيم ما زالت غامضة للاجيال الصاعدة، فشعار (نريد وطن) شعار براق ولكنه من غير اطار واضح متفق عليه، وتبقى تلك المفاهيم نخبوية اكثر منها شعبوية[٤٣].

يقترح العتابي بضرورة حفظ ثورة العشرين في ذاكرتنا الجمعية، وذلك عن طريق اقامة شواهد مادية لتستذكرها الاجيال القادمة: اقامة نصب لرموزها في المدن التي شهدت احداثها، وتسمية ساحاتنا وشوارعنا باسمائهم، واقامة متاحف للشمع لشخصياتهم في مراكز مدنهم، اعترافاً بتضحياتهم، واخرى تضم مخطوطات الثورة وبانوراما لاحداثها، فالامة التي لا تحترم تراثها، لا تطلب احتراماً من الاخرين، كانت ثورة العشرين نقطة الانطلاق لتشكيل الهوية الوطنية العراقية ولحظة حاسمة كان من الممكن ان تتشكل فيها (الامة) والدولة العراقية على نحو راسخ لو استمر الايمان بمبادئها كمرجعية تاريخية، كما هو الحال مع الثورات العالمية الكبرى، الا ان تلك النخب فشلت في استثمار تلك اللحظة كما فشلت في الفترات اللاحقة[٤٤].

الخاتمة

بعد ان اتتمنا كتابة هذا البحث توصلنا الى النتائج الاتية:

– يعد عبد الله العتابي من ابرز المؤرخين العراقيين الذين تناولوا ثورة العشرين واحداثها بموضوعية وحيادية تامة.

– ابتعد المؤلف في كتاباته حول ثورة العشرين عن التاريخ المناطقي والمحلي والفئوي الذي يرنو الى حصر الثورة بفئة من الفئات او تمييزها عن باقي المشاركين في الثورة، اذ اثبتت كتابات العتابي ان جميع افراد الشعب العراقي بمختلف انتماءاتهم الدينية والسياسية والطبقية قد شاركت بالثورة وكل حسب موقعة.

– ان اهتمام المؤرخ العتابي بالثورة دفعه ليقدم مقترحات من اجل اعتبار ثورة العشرين ثورة كبرى وحدث وطني لا يقل اهمية عن باقي الثورات الكبرى التي شهدتها البلدان العالمية مثل الثورة الفرنسية والثورة البلشفية وثورة ١٩١٩ في مصر.

The Twenty Revolution in the writings of Abdullah al-Atabi

Keywords: Abdullah al-Atabi, the twentieth revolution, the history of Iraq

Prof. Dr. Mohammed Yahya Ahmed
College of Arts- University of Anbar
Assistant Professor. Dr.Muath Hilal Jisem ALMohammed
Presidency University- University of Anbar

Abstract

Dr. Abdullah Hamid al-Atabi is considered one of the most prominent historians who witnessed the Iraqi scientific arena, and despite his numerous scientific productions in many historical disciplines, his star emerged in the contemporary history of Iraq, especially the Twentieth Revolution, which he dealt with in his research with great objectivity, making him a historical reference for its events, as It was dealt with by more than four researches, in addition to the participation in conferences and symposia with a new proposal that differed from what was previously presented in the presentation of the events of the revolution.

الهوامش

(١) عبد الله حميد العتابي، ثورة العشرين في كتابات الباحثين والمؤرخين، جريدة الصباح، ٢٩ حزيران ٢٠١٩.

(٢) كارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣): فيلسوف اشتراكي الماني ولد في منطقة الراين اكمل دراسة القانون في جامعتي بون وبرلين تزوج عام ١٨٤٣ من الناشطة السياسية الألمانية جيني فون ويستفالين. خلال حياته طوّر أفكاره بالتعاون مع صديقه فريدرك إنجلز، ومن اشهر كتاباته الأشهر هي البيان الشيوعي ورأس المال

بأجزائه الثلاثة. كان لفكره السياسي والفلسفي تأثير هائل على التاريخ الفكري والاقتصادي العالمي واستُخدم اسمه للتعبير عن مدرسةٍ فكرية كثيرة التطورات وهي المدرسة الماركسية. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ج٥، ص ٦٣٥-٦٣٩.

(٣) عبد الله حميد العتابي، جدلية ثورة العشرين، جريدة الزمان، بغداد، ١٤ تموز ٢٠٢٠.

(٤) عبد الله حميد العتابي، ثورة العشرين في كتابات الباحثين والمؤرخين، جريدة الصباح، ٢٩ حزيران ٢٠١٩.

(٥) انظر على سبيل المثال: محمود العبطة، بغداد وثورة العشرين، بغداد، ١٩٧٣، كامل سلمان الجبوري، النجف الاشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، بيروت، ٢٠٠٥، سلمان عادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيروت، ٢٠٠٠، ستار نوري العبودي، دور الحليين في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، مجلة مركز بابل، ٢٠١٣.

(٦) انظر على سبيل المثال: سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠-١٩٢٠، بيروت، ٢٠٠٠، عبد الحسين الحلي، شيخ الشريعة وقيادته في الثورة العراقية الكبرى، بيروت، ٢٠٠٥، علاء عباس، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٥.

(٧) انظر على سبيل المثال: ل.ن، كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، تعريب: عبد الواحد كرم، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧١، انور الحبوبي، دور المثقفين في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩،

(٨) انظر على سبيل المثال: فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة للثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها، بغداد، ١٩٥٢، عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين، النجف، ١٩٦٦، هيفاء الهيمص، الدور الوطني لعشيرة البو سلطان في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤.

(٩) انظر على سبيل المثال: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، الجزء الخامس، القسم الاول، القسم الثاني، بغداد، ٢٠٠٩.

(١٠) انظر على سبيل المثال: صالح عباس ناصر، عبد الواحد الحاج سكر ودوره الوطني في تاريخ العراق المعاصر حتى عام ١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد، ٢٠١٠؛ احمد كامل ابو طبيخ، السيد محسن ابو طبيخ سيرة وذكريات، بغداد، ٢٠٠٥؛ عادل الياسري، جهاد السيد نور الياسري في ثورة العشرين التحررة ١٩٢٠ وصناعة الوطنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٤.

(١١) عبد العظيم عباس نصار، ثورة العشرين الوطنية العراقية، مجلة اداب الكوفة، المجلد ٤، العدد ٩، ٢٠١١.

[١٢] وميض عمر جمال نظمي، الجذور السياسية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، بيروت، ١٩٨٤؛ غسان العطية، العراق ١٩٠٨-١٩٢٠، دراسة اجتماعية سياسية، بيروت، ١٩٧٣.

[١٣] فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى، بغداد، ١٩٥٢، ص ٦.

[١٤] جعفر الخياط، من مقدمة كتاب (ارنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة: جعفر الخياط، دار الرافدين للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٧).

[١٥] ضاري المحمود (غير معروف- ١٩٢٨): هو ضاري بن محمود الزوبعي الشمري شيخ زوبع إحدى بطون شمر وأحد المساهمين في ثورة العشرين في العراق ضد الاحتلال البريطاني للعراق، كان له دور في تفجير الثورة حيث أن الحاكم الإنجليزي في حينها الكولونيل لجمن طلب الشيخ ضاري، رفض الشيخ في بادئ الأمر المثول أمامه لعلمه بأنه سوف يطلب منه التعاون مع الإنجليز ضد العراقيين كان اللقاء في منطقة خان النقطة بين بغداد، رفض الشيخ طلبه بالخيانة فقام الكولنيل بإهانة الشيخ ضاري بكلمات نابية وشديدة. فهبت الحمية بالشيخ وخرج وأحضر ولداه خميس وسليمان الذين وجهوا بنادقهم إلى رأس الكولونيل ليتشمان وأطلقوا النار عليه فأردوه قتيلاً ثم أجهز عليه الشيخ ضاري بسيفه وعند محاولة المرافق المقاومة قتلوه أيضا. وبعدها بيوم تحركت عشائر زوبع وذلك لقطع إمدادات الجيش البريطاني بين الموصل وبغداد وسيطروا على بعض المدن وألحقوا الخسائر بالقوات البريطانية في تلك المناطق. إبراهيم عبد الكريم كريدية، أبناء الشرق، مكتبة نوفل، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٧، ص ٧٧-٧٨.

[١٦] جيرارد ايفيلين لجمن (١٨٨٠-١٩٢٠): هو ضابط بريطاني سافر كثيرا في البلاد العربية، وقد خدم في فوج ساسكس الملكي وخدم في الهند وفي حرب البوير. وقضى معظم حياته المهنية كضابط في العراق، حيث كان له دور فعال في تهدئة القبائل المتحاربة لتحقيق الاستقرار في البلد بعد احتلاله خلال الحرب العالمية الأولى، كما عمل في المملكة العربية السعودية، حيث اتصل بالملك عبد العزيز آل سعود نيابة عن الحكومة البريطانية. للتفاصيل ينظر:

Jon Lee Anderson, The Fall Of Baghdad, Brown Book Group, London, 2015, P. 215.

[١٧] عبد الله حميد العتابي واحمد ناطق العبيدي، ثورة العشرين وصيرورة الهوية الوطنية العراقية، تحت الطبع، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص ٧-٨.

[١٨] المصدر نفسه.

[١٩] عبد الله حميد العتابي وغانم نجيب عباس، الخطاب الحوزوي في ثورة العشرين، بغداد، ٢٠٢٠، ص ٣٧.

[٢٠] المصدر نفسه، ص ٨٧.

[٢١] عبد الله حميد العتابي، دور ثورة العشرين في بناء الدولة العراقية الحديثة، بحث القي في المؤتمر الدولي الذي اقامته كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، بمناسبة مرور مائة عام على ثورة العشرين، ٢٠٢١.

[٢٢] المصدر نفسه.

[٢٣] عبد الله حميد العتابي، دور البغداديين في ثورة العشرين، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٦١، ٢٠١٧، ص ٧٠٦.

[٢٤] المصدر نفسه، ص ٧٢٥.

[٢٥] عبد الله حميد العتابي، الحركة الوطنية في كربلاء واثرها في ثورة العشرين، مجلة تراث كربلاء، المجلد ٤، العدد ٤، ٢٠١٧، ص ٣١٦.

[٢٦] عبد الله حميد العتابي وغانم نجيب عباس، دبلوماسية المرجعية الدينية في ثورة العشرين، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، الجزء الثاني، ٢٠٢١، ص ٢٣٦٩.

[٢٧] ودرو ولسن (١٨٥٦-١٩٢٤): سياسي وأكاديمي أميركي شغل منصب الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة من عام ١٩١٣ إلى ١٩٢١. كان ويلسون من الحزب الديمقراطي وترأس جامعة برينستون وكان حاكما على ولاية نيوجيرسي، وكان خلال رئاسته أحد أهم رموز الحركة التقدمية في البلاد، وقاد البلاد خلال الحرب العالمية الأولى، أصيب خلال أواخر فترته الثانية من جلطة أثرت على عمله السياسي، ومات بعد ثلاث سنوات من تركه المنصب. للتفاصيل ينظر:

H. W. Brands, Woodrow Wilson: The American Presidents Series: The 28th President, 1913-1921, McMillan, New York, 2003.

[٢٨] عبد الله حميد العتابي وغانم نجيب عباس، المرجعية الدينية ودورها التاسيسي للعراق المعاصر، بحث القي في المؤتمر الدولي لكلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، بمناسبة مرور مائة عام على ثورة العشرين، ٢٠٢١.

[٢٩] المصدر نفسه.

[٣٠] المصدر نفسه.

[٣١] المصدر نفسه.

[٣٢] المصدر نفسه.

[٣٣] عبد الله الحميد العتابي، اثر ثورة ١٩١٩ على ثورة العشرين بالعراق، المؤتمر الدولي الذي اقامته وزارة الثقافة المصرية، بمناسبة مرور مائة عام على ثورة ١٩١٩، القاهرة، ١٨ مارس ٢٠١٩.

[٣٤] المصدر نفسه.

[٣٥] المصدر نفسه.

[٣٦] عبد الله حميد العتابي، الخطاب الحماسي في ثورة العشرين، المؤتمر السنوي العلمي التاسع، العتبة الكاظمية المقدسة، ١٠ تشرين الاول ٢٠٢٠.

[٣٧] عبد الله حميد العتابي، دور المرأة المشهود في ثورة العشرين، جريدة المدى، بغداد، العدد ٢٥٦٨، ٢٨ حزيران ٢٠١٥.

[٣٨] عبد الله حميد العتابي، دور المرأة العراقية في ثورة العشرين، جريدة البيان، ٢٠١٣/٧/١.

[٣٩] المصدر نفسه.

[٤٠] عبد الله حميد العتابي، دور عشائر الدليم في ثورة العشرين، بحث القي في ندوة قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة الانبار، ٢٥ مايس ٢٠٢١.

[٤١] جريدة طريق الشعب، بغداد، ١ تموز/ يوليو ٢٠٢٠.

[٤٢] المصدر نفسه.

[٤٣] عبد الله حميد العتابي واحمد ناطق العبيدي، المصدر السابق، ص ٧-٣٥.

[٤٤] عبد الله حميد العتابي، دور عشائر الدليم في ثورة العشرين، ندوة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة الانبار، ٢٥ مايس ٢٠٢١.